

تفسير ابن كثير

يقول الله تعالى وما عظموه الله حق تعظيمه إذ كذبوا رسله إليهم قال ابن عباس ومجاهد وعبد الله بن كثير : نزلت في قريش واختاره ابن جرير وقيل نزلت في طائفه من اليهود وقيل في فنحاص رجل منهم وقيل في مالك بن الصيف { قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء } والأول أصح لأن الآية مكية واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء وقريش والعرب قاطبة كانوا ينكرون إرسال محمد صلى الله عليه وسلم لأنه من البشر كما قال { أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس } وقوله تعالى : { وما من الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعد الله بشرًا رسولاً * قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملائكة رسولاً } وقال ههنا { وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء } قال الله تعالى : { قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس } أي قل يا محمد لهؤلاء المنكريين لإنزال شيء من الكتب من عند الله في جواب سلبهم العام بإثبات قضية جزئية موجبة { من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى } وهو التوراة التي قد علمتم وكل أحد أن الله قد أنزلها على موسى بن عمران نوراً وهدى للناس أي ليستضاء بها في كشف المشكلات ويهتدى بها من ظلم الشهادات وقوله { يجعلونه قرطيساً تبدونها وتخفون كثيراً } أي يجعلون جملتها قرطيساً أي قطعاً تكتبونها من الكتاب الأصلي الذي بأيديكم وتحرفون منها ما تحرفون وتبدلون وتأولون وتقولون هذا من عند الله أي في كتابه المنزل وما هو من عند الله ولهذا قال { يجعلونه قرطيساً تبدونها وتخفون كثيراً } وقوله تعالى : { وعلتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباءكم } أي ومن أنزل القرآن الذي علمكم الله فيه من خبر ما سبق ونبأ ما يأتي مالم تكونوا تعلمون ذلك لا أنتم ولا آباءكم وقد قال قتادة : هؤلاء مشركو العرب وقال مجاهد هذه لل المسلمين وقوله تعالى : { قل الله } قال علي بن أبي طلحة : عن ابن عباس أي قل الله أنزله وهذا الذي قاله ابن عباس هو المتعين في تفسير هذه الكلمة لا ما قاله بعض المتأخرین من أن معنى { قل الله } أي لا يكون خطابك لهم إلا هذه الكلمة [] وهذا الذي قاله هذا القائل يكون أمراً بكلمة مفردة من غير تركيب والإتيان بكلمة مفردة لا يفيد في لغة العرب فائدة يحسن السكوت عليها وقوله { ثم ذرهم في خوضهم يلعبون } أي ثم دعهم في جهلهم وضلالهم يلعبون حتى يأتياهم من الله اليقين فسوف يعلمون أللهم العاقبة ألم لعباد الله المتقين ؟ وقوله { وهذا كتاب } يعني القرآن { أنزلناه مباركاً مصدق الذي بين يديه ولتنذر ألم القرى } يعني مكة { ومن حولها } من أحياه العرب ومن سائر طوائف بني آدم ومن عرب وعجم كما قال في الآية الأخرى { قل يا أيها الناس إنني رسول الله إليكم جميعاً }

وقال { لأنذركم به ومن بلغ } وقال { ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده } وقال { تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا } وقال { وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أسلتمم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ وام بصير بالعباد } وثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال [أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي] وذكر منها [وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة] ولهذا قال { والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به } أي كل من آمن بما في الكتاب الآخر يؤمن بهذا الكتاب المبارك الذي أنزلناه إليك يا محمد وهو القرآن { وهم على صلاتهم يحافظون } أي يقيمون بما فرض عليهم من أداء الصلوات في أوقاتها